

فكرة الخيال في السينما الثورية الجزائرية المعاصرة

سماش سيد أحمد

جامعة الجلفة

مقدمة:

يعود تاريخ سينما الجزائر إلى البدايات الأولى للسينما العالمية، ولقد كانت الجزائر مسرحاً للسينما منذ نشأتها في أواخر القرن التاسع عشر، إذ كلف الأخوان لوميير المصور (فيليكس مسغش) بتصوير مشاهد من الجزائر، فكانت قائمة الأشرطة طويلة تم عرضها سنة 1897، ومنها (الجزائر)، (دعوة المؤذن)، و(ساحة الحكومة) و(الميناء) وكذلك مشاهد من تلمسان. وتستقطب المناظر الجزائرية الكثير من المخرجين المشهورين في السينما الصامتة أمثال (جاك فيدر) وفيلمه (الألتيتيد)، وكذلك (جان رنوار) مع فيلمه (البلد) سنة 1929م.

ولكن هذا لا يمنعنا من اعتبارها ضمناً سينما جزائرية قبلية، فمن غير المعقول أن نمحو كل آثار الماضي الاستعماري، كما أن تلك الأحداث الثقافية والفنية كان لها تأثير غير مباشر على الجزائريين في تلك الحقبة من الزمن، كما يعود الفضل في ظهور أول عمل وثائقي مصور حول حرب التحرير لمخرج فرنسي التحق بصفوف جبهة التحرير الوطني وهو (رونيه فوتي) بفيلمه (الجزائر تحترق)، وفي سنة 1957 تتكون خلية للإنتاج السينمائي لخدمة الثورة التحريرية دعائياً، تضم كلا من جمال شاندرلي ومحمد لخضر حامينا وأحمد راشدي، أما الانطلاقة الفعلية للأفلام السينمائية الخيالية المطولة فتعود إلى فترة الاستقلال مع الفيلم التاريخي (الليل يخاف من الشمس) لمصطفى بديع (1965) و(ريح الأوراس) للخضر حامينا (1966) مروراً

Abstract:

Algerian cinema dates back to the early beginnings of international cinema. Algeria has been the scene of cinema since its inception in the late 19th century. The Lumière was commissioned to photograph scenes from Algeria. Before the war of liberation until 1946, Algeria had only a photographic interest. In 1947, the French created a cinematic interest that produced a number of short films that were presented and translated mostly into the colonizer's language. Two generations of directors in Algerian cinema experienced the first generation of Algerian cinema and the comprehensive popular revolution, Hamad al-Akhdar, Hama El-Auras wind, the years of the embers), Ahmed Rashdi (dawn of tormentors, opium and sticks, Long live Algeria) and Mohamed Salim Riad (road-Sanoud).

The course of Algerian cinema has been a long and difficult process in order to prove to the world its position as the champion of the idea and cause of cultural, political and social life through important stages in the history of Algeria and society in all its various spheres

ب: (تحييا يا ديدو) محمد زينات سنة 1971 و(سقف وعائلة) لرابح لعراجي (1982) وغيرها من الأفلام الجادة.

هل يمكن إنتقال السينما الجزائرية الثورية الوثائقية إلى السينما الجزائرية الثورية الخيالية التي تحوي عناصر الأكشيون والمغامرات ؟ وهل تغير الدراما من الواقعية إلى الخيال يخدم الرسالة التاريخية والمتعة للجمهور الجزائري المتذوق؟

1-تعريف السينما:

إن السينما هي تعامل منظم مع الطبيعة يتم عن طريق تكتل أو تجمع منسق لخصائص سينمائية معينة تتميز بمجموعة من العلامات أو الإشارات، وهذا ما يجعل منها نظاما سيميائيا، أما الفيلم فهو مبدئيا صور لأشياء تتحول إلى لغة إذا شئنا من الدرجة الثانية، بمعنى أنها لغة ذات طابع وخصائص جمالية من نوع خاص ومختلف عن طبيعة الأنظمة اللسانية الأخرى، ومن هنا تتأني السينما بالضبط من حيث إيجائها وإلحاق بفكرة وجود لغة من نوع جديد، اللغة التي تحوي في ذاتها إبداع واقع مجزأ والتي هي ذاتها محتواة داخل العمل الإبداعي الفني.¹

اللغة السينمائية:

أما الدكتور محمود إبراهيم في كتاباته الصادرة تحت عناوين : التحليل السيميولوجي للفيلم وهذه هي السينما الحقبة فيرى العكس، إذ يعتبر بأن "المخرجين الانطباعيين في بداية القرن العشرين أشاروا إلى مفهوم اللغة السينمائية ضمنا،و يعتبر لويس دلوك السينما لغة عالمية ووسيلة تخاطب بين الشعوب، قادرة على الوصول إلى أي مكان."² ومن جهة أخرى يرى كريستيان ميمز أن اللغة السينمائية لغة مركبة تتألف من اقتران خمس عناصر دالة وهي:

-الصورة الفوتوغرافية المتحركة

- البيانات المكتوبة : وهما النوعان المؤلفان لشريط الصورة
- الصوت المنطوق به
- الصوت التشابهي
- الصوت الموسيقي .

وتشكل العناصر الثلاث الأخيرة شريط الصوت³

2-نبذة عن تاريخ السينما الجزائرية:

-قبل الاستقلال:

تتميز السينما في الجزائر من حيث الولادة والهدف والمسار عن جميع تجارب السينما في الوطن العربي⁴ . ومن خلال هذا التميز كانت تتخذ دائما مكانة القدوة على الرغم من أنها بدأت متأخرة نسبيا من حيث التاريخ عن تجارب السينما في كل من مصر وسورية ولبنان والعراق.

قبل حرب التحرير وحتى عام 1946 لم يكن في الجزائر سوى مصلحة فوتوغرافية واحدة وفي عام 1947 أنشأ الفرنسيون مصلحة سينمائية أنتجت عددا من الأشرطة القصيرة عرضت وترجمت في أغلبيتها إلى لغة المستعمر

وهذه الأفلام تقسم إلى الأنواع التالية:

-أفلام تتعلق بالأداب والعادات الجزائرية.

-أفلام ثقافية.

-أفلام وثائقية.

-أفلام حول التربية الصحية.

-أفلام عن الزراعة.

-أفلام عن الدعاية السياسية.

-ومن بين هذه الأفلام نذكر على سبيل المثال:

-قيصرية 1949 ل : ج هوزمان.

-الإسلام 1949.

-العبد غير المنتظر 1959.

-أغنى ساعات أفريقيا الرومانية.

-هيبون الملكية.

-رعاة الجزائر.

وقد قام بإخراج جميع هذه الأشربة القصيرة في الجزائر أما عمليات التطهير والتركيب فقد تم إنجازها في استوديوهات باريس وفي عام 1948 أحدثت مصلحة الإذاعة السينمائية وكانت هذه المصلحة تضم مجموعة من القوافل لتحمل إلى الواحات البعيدة في جنوب الجزائر أفلاما مسلية. و تنتقل إلى البدايات الحقيقية للسينما الجزائرية خاصة بعد أن قامت دائرة المصالح السمعية والبصرية بجمع معلومات مكثفة وواقعية حول كل فيلم من الأفلام المنتجة وطنيا أو مع الغير وبصورة خاصة الأفلام التي أنجزت خلال حرب التحرير. ولعل ما يبرز مسيرة السينما في الجزائر خارج نطاق الاختيار والإنتاج والإخراج أمران:

1 - تأميم قاعات العرض.

2 - احتكار شبكة توزيع الأفلام.

إذ أن هذه الخطوات الهامة والمكتملة في مسيرة السينما، مكنت الأفلام الجزائرية المنتجة من دخول 350 قاعة عرض الموجودة في الجزائر كما تحررت وسائل الإنتاج الوطني للسينما من الاحتكار والمتاجرة. وقبل أن نستعرض ولادة السينما الجزائرية لا بد أن نشير إلى أن السينما كانت إحدى المعطيات التي أفرزتها حرب التحرير بل إن مجموعة من السينمائيين استشهد أفرادها في هذه الحرب ونذكر منهم: فاضل معمر زيتوني-عثمان مرابط-مراد بن رايس-صلاح الدين السنوسي-فرذلي الغوتي مختار-عبد القادر حسنية- سليمان ابن سمعان-علي جنادي. كانت الحاجة ملحة لإيجاد سينما تواكب مسيرة حرب التحرير التي بدأت عام 1954 وكان لا بد لهذه السينما أن تنطلق من منطلق علمي مدرّوس ولا تكون مجرد مغامرة، لهذا وفي عام 1975 فتحت مدرسة للتكوين السينمائي في الجبال بولاية آ- من المنطقة الخامسة.⁵

-بعد الاستقلال:

وعلى الرغم من إن تاريخ السينما الوطنية الجزائرية الفعلية يزيد عن عشرين عاما.⁶ وعلى الرغم من إن الأفلام الجزائرية لا تتجاوز خمسين فيلما طويلا ومأتي فيلم تسجيلي وقصير إلا إن هناك عدة تيارات واتجاهات في الأفلام الجزائرية، ومع هذا فما تزال السينما الجزائرية سينما تحت التكوين على الرغم من الجوائز التي نالتها أفلاما في المهرجانات السينمائية الدولية، وهناك جيلان من المخرجين في السينما الجزائرية عايش الجيل الأول بدايات السينما الجزائرية والثورة الشعبية الشاملة التي قامت فيهما وانتهت بتحقيق الاستقلال مثل محمد الأخضر حامين رياح الأوراس، وقائع سنوات الجمر(واحمد راشدي) فجر المعذبين، الأفيون والعصا، تحيا الجزائر (ومحمد سليم رياض) الطريق-سنعود- ربح الجنوب. أما الجيل الثاني الذي عاصر بداية سنوات الاستقلال فقد بدأت معه مرحلة انطلاق جديدة للسينما الجزائرية بعد عشر سنوات من الاستقلال أي في عام 1972 وبعد إنتاج مجموعة أفلام سينمائية أنتجها التلفزيون الجزائري وهي:

-عائلات طيبة- من إخراج جعفر دامرجي.

-العرق الأسود- من إخراج سيد علي مازيف.

-الفحاح- إخراج محمد بو عماري.

-منطقة محرمة- إخراج احمد العالم.

-نوة- إخراج عبد العزيز طولبي.

-الطارفة- إخراج هاشمي شريف.

-الغاصبون- إخراج الأمين مرياح.

-المصب- إخراج محمد شويخ.

-يوميات عامل شاب: إخراج محمد افتيسان.

-بالقرب من الصنصاف: إخراج موسى حداد.

بين أفضل الأفلام السينمائية الجزائرية، وذلك لأن عزيزي استطاع من خلال عالم القرية الصغير ومشاكل الماء أن يرتفع بهذه التأمّلات على مستوى المجتمع بكامله وعلى التبدلات وتحول العلاقات الاجتماعية نتيجة لذلك. وتأتي أهميته أيضا من كونه يتجنب تبسيط واقع ليست كل ظاهره مادية بشكل مباشر استحوابا. يقول عزيزي: لا يهمني أن اطرح أسئلة لإصلاح المشاكل حول حياتنا اليومية، وإذا أتيت بأجوبة في نفس الوقت فسأغلق الحلقة، وسأجد نفسي وحيدا داخلها، أننا نعيش حاليا في أوقات انتقال صعبة من التصنيع الذي لا غنى عنه والتطور الاقتصادي والتحديث ليست كلها مسيطرا عليها أو مسيطرة، رغم الخيار والإرادة السياسية الحتمية، ولكي نتقدم يجب أن نواجه المشاكل ونصنفها في كل ملامستها، محب حتما إظهار الأشياء على حقيقتها قدر الإمكان ليتسنى للجميع النضال، لكنني ارفض دراسة تغيير الواقع.

2- أما فيلم المفيد لعمار العسكري فيقول عنه مخرجه انه مأخوذ عن قصة حقيقية حيث كتب السيناريو بالاشتراك مع مصطفى تومي وادار التصوير دحيو كرش ومثله رويشد وعبد الحليم رايس ومحمد شويخ. المفيد هو رحلة ثلاثة صحفيين في الريف الجزائري الذي يشهد الآن ثورة زراعية تشغل الجزائر كلها يرافقهم في هذه الرحلة، المنفي ابن الريف البسيط و الصراع هنا كما جرت العادة بين قطاعات مختلفة بين إقطاعيين تزحف نحوهم الثورة الزراعية بقيادة شبان يتظاهرون باستمرار من اجل الاشتراكية، ويقول المفيد أن الثورة ستنتصر ولكن ليس بالخطابات، لا بد من الوضوح في الموقف ولا بد من العمل ولا تكفي الشعارات، الحرية شرط والعمل أساس، في الفيلم لا نجد قصة تقليدية، وإنما نجد القمص الجادة في الجزائر في ظل أو في فترة الثورة الزراعية. الشعارات في كل مكان، والناس في كل مكان يحتفلون أو يتحدثون عن الثورة الزراعية ولكن الذين يعملون قليلون وهم الذين يحتاجون إلى كل شيء وهم الذين يستغلهم أرباب العمل في ظل الثورة

وتتميز هذه الأفلام محاولة الاقتراب من الواقع الجزائري المعاصر بعد الاستقلال وتتناول موضوع حرب التحرير دون أوهام أسطورية تفرغ الحرب من مضمونها الحقيقي، ولكن يمكن أن نقول أن مهرجان الأيام السينمائية بقرطاج عام 1972 شهد مولد السينما الجزائرية الجديدة عندما عرض فيه بنجاح فيلم الفحاح. وإذا كان الفحاح بداية السينما الجزائرية الجديدة.⁷

فإن فيلم عمر قتلته الرجولة أول فيلم طويل لمخرجه مرزاق علواش والذي عرض لأول مرة في برنامج السينما العربية بأرشيف الفيلم الفرنسي في شباط 1977م. وقد حقق هذا الفيلم نجاحا كبيرا في العديد من المهرجانات الدولية حيث عرض في أسبوع النقاد مهرجان كان، وفي مهرجان السينما الشابة ببرلين وفي مهرجان الدول الناطقة بالفرنسية حيث فاز بالجائزة الأولى وفي أسبوع الأفلام الجزائرية بدمشق. وهناك مجموعة أخرى من الأفلام الجديدة للسينما الجزائرية في هذا الاتجاه ومنها:

- مغامرات بطل - مرزاق علواش.

- ليلي وأخواتها- لسيد علي مازيف.

- زيتون أبو الحيات- نادر محمد عزيزي.

- تشريح مؤامرة- لحمد سليم رياض.

- المفيد- لعمار العسكري.

3- نموذج لفلمين شكلا قطيعة بين جيلين:

وتحدث هنا بشيء من التفصيل عن فيلمين من هذه الأفلام: زيتون أبو الحيات، الذي يرصد الحياة في القرية الجزائرية بين الماضي والحاضر. و الثاني فيلم المفيد، الذي عرض في مهرجان دمشق السينمائي الأول 1979 الذي آثر العدد من الآراء والتعليقات.

1- زيتون أبو الحيات: من إخراج نادر محمد عزيزي عن قصة لمالك حداد هي بالأساس قصة إذاعية وهو أول فيلم طويل للمخرج، هذا الفيلم هام جدا و يصنف من

والخاص وتصبح حتى مدرسة جديدة في التعبير السينمائي تدرس في السوربون والمعاهد السينمائية الأخرى.

وعن فيلمه الشهير -نوة- يقول طولي: { انه تحليل اجتماعي تاريخي للمجتمع العربي من خلال المجتمع الجزائري في فترات ثلاث قبل الاستعمار وأثناء الاستعمار وبعده وذلك من خلال الحياة اليومية لقرية.⁹

ولكن-مع مرور السنوات- انبثقت بالتدرج مواضيع جديدة تتعلق ببناء الجزائر الحديثة وقد ارتبطت تلك المواضيع بالتغيرات الاجتماعية التي تحدثت عن التصنيع والثورة الزراعية والحوار المتعلق بالميثاق الوطني وما شابه ذلك، وقد بات السينمائيون يعيرون- بشكل طبيعي- اهتماما أكبر مثل هذا النمط من المواضيع. و لا تزال السينما الجزائرية في طورها الثاني الذي يتميز برغبة في تناول مثل هذه القضايا ولكن هذا لا يعني أن السينما لا تخلوا عن مواضيع النضال في سبيل التحرير كمصدر الهام لهم ، بل على النقيض من ذلك فأنا اشعر انه ستكون هناك أفلام جديدة أفضل حول هذه الفكرة {.

وهناك فيلم آخر متميز في مسيرة السينما الجزائرية ويعتبره بعض النقاد أفضل الأفلام الجزائرية من حيث انه ثوري تحريضي ، ألا وهو الفحام (يروي الفيلم حكاية عائلة من زوج وزوجته وصبي وصبية ، الزوج يعمل حطابا في الغابة حيث يقطع الحب ثم يحوله إلى فحم ليذهب به بعد ذلك ويبيعه في سوق القرية القريبة ، أما الزوجة فهي ككل نساء الأرياف تشارك زوجها أعباء العيش عبر صناعتها للأواني الفخارية، هذا بينما يحيا الصغيران حياة غاية في الرتبة.¹⁰

4- تجربة الأفلام القصيرة والمتوسطة الخيالية الجزائرية :

أنتجت السينما الجزائرية مجموعة من الأفلام القصيرة والمتوسطة أطلق عليها اسم الأفلام الخيالية وهي ذات جودة متميزة في السينما العربية. ونورد هنا ملخصات لعدد من هذه الأفلام:

قبل أن تحسم اتجاهها. وكما كان فيلم تاريخ سنوات الجمر للمخرج الأخضر حامينا تاريخا للحياة في الجزائر وقت الثورة المسلحة ضد المستعمرين وتاريخا لعذاب المقاتلين والشعب المضطهد، فإن المفيد للعسكري فيفيلم جريء وجديد بالأفكار والصور، وهو فيلم شامل لا يعرض قصة أو مقطعا من الحياة و إنما يتحدث عن الحياة كلها⁸، الجيل الجديد وهومو والجيل القاسم وعاداته وتقاليده واحتفالاته ذات الأعلام الملونة بالبيروقراطية البعيدة عن هومو الناس ومواقع العمل والعمال الذين يقاسون من بقية مالكي الأرض والمتعهدين الذين يتسللون إلى مشروعات العمل الاشتراكي.

-وعن واقع السينما الجزائرية تحدث المخرج عبد العزيز طولي في مهرجان دمشق السينمائي الأول قائلا:

{ ليس في وسعنا أن نتكلم عن السينما بشكل منفصل عن الثقافة عامة ففي الوقت الذي لا تكون فيه إستراتيجية لثقافة قومية بصفة عامة لا يكون هناك بالتالي إستراتيجية لسينما قومية.

وعن السينما الجديدة قال عبد العزيز طولي: بعد الجيل السينمائي فيما قبل الثورة وأثناءها جاءت دفعة الطلبة المختصة التي كانت قد أرسلتها الثورة للتخصص في الخارج ، وابتدأت مع هذه الدفعة أو بالأحرى مع هذا الجيل الجديد الذي أنا أعيش فيه مرحلة جديدة. {

ثلت في ذلك الوقت سنوات 1968 - 1975 بالسينما الجديدة ، وكان طرح الموضوعات هو الذي يختلف عن مواضيع المرحلة التي سبقتها، حيث كانت تتحدث جميعها عن حرب التحرير ليس فقط من حيث الشكل وإنما أيضا من حيث المضمون. وعالجت هذه السينما كل القضايا القومية المطروحة مثل الثورة والزراعة وثورة التعريب والتسيير الاشتراكي والذاتي الخ.. وفي سنة 1972 استطاعت السينما الجزائرية أن تدخل أوروبا من بابها الواسع، ولأول مرة تدخل سينما من العالم الثالث إلى أوروبا وتعرض وتنال إعجاب الجماهير والنقاد وتعرض نفسها على العام

يقول ملخص السيناريو: الماء مصدر الحياة ومن النادر وجوده في السفح الجنوبي للاوراس يكرس الناس جل جهودهم للبحث عن الماء ويلتجئون لهذا الغرض إلى احد السحرة يحمل الساحر سلكا مقوسا من النحاس وشي على التربة بحثا عن الماء على أمل إن التأثير المغناطيسي الناشئ عن الاقتراب من الماء يهز القضيب وإذا تصادف له مرة اكتشاف الماء بهذه الطريقة فالغالب أنه يفشل مرات عديدة. مهندس شاب ينهي دراسته حديثا ينتقل إلى القرية ويفضل معلوماته العلمية والتقنية يتسنى له التغلب على الصعاب الطبيعية ولكن عمله هذا ليس سوى قطرة ماء في محيط العطش وينبغي أن يوجد مثله كثير من الماء.

-السماء والصفقات: في قرية صغيرة بضواحي الجزائر يلاحظ هرج ومرج غير عادي يتزاحم الناس على استشارة مطبب القرية الدجال الذي بلغ من الشهرة حدا جعل المرضى يأتون إليه من أماكن بعيدة ولم يكن

هناك أحد يشك في معجزات الطبيب سوى كاتب القرية الذي ينتهي به الأمر إلى استشارته أيضا عندما تتعرض سعادة شقيقته الساذجة إلى الخطر وهنا يعمل على هزم تلك المافيا الصغيرة التي كانت تستغل آلام الناس وشقاءهم. والفيلم من إخراج محمد بو عماري إنتاج الديوان الوطني للتجارة والصناعة السينمائية عام 1967.

-بائع اللبن:.. إخراج رايح بوشحة إنتاج الديوان الوطني للتجارة والصناعة السينمائية عام 1969 ويروي قصة غلام يبيع اللبن قتل أبوه على أيدي جنود المظلات فكان للحادث أثر في نفسه دفعه إلى الانخراط في صفوف المجاهدين في سبيل النصر.

-البلاغ: إخراج عمار العسكري إنتاج الديوان الوطني للتجارة والصناعة السينمائية عام 1969 و يلخص الفيلم قصة بلاغ أذاعته الإذاعة الاستعمارية عن الأحداث اليومية لحرب التحرير الوطنية.

-لحظة صورة: إخراج: محمد حمينة عام 1964 . بطل الفيلم اسمه الأخضر (شاب من شباب المقاومة الشعبية يتخيل هدنة أثناء حرب التحرير ويحلم ما كان يفعله لو كانت الظروف عادية ، يحلم بقصة غرام جميلة ولكن ليس الوقت وقت أحلام فالمعارك مستمرة ورسامة واحدة تضع حدا لكل شيء للحب والسلام والأحلام.

- كمثل روح: إخراج عبد الرحمن بوفر إنتاج المركز الوطني للسينما عام 1965 يلخص السيناريو قصة شاب يعود الى داره في قرية واقعة على تل عند مهبط جرجرة وبينما يجري الاتصال بينه وبين الجواهري الذي عليه أن يلحقه برجال المقاومة يقع في حب ابنة عمه التي لم يرها منذ طفولتها الفراق قاس ولكن الواجب لا يدع مكانا لأية عاطفة أخرى بعد انتهاء مهمته يشعر الفتى بسعادة غامرة للعودة إلى قريته ولقاء حبيبته ولكن كثيرا ما تكون نتائج الحرب أقسى من الحرب نفسها. فالخطيبة صافية ولد لها طفل نتيجة اغتصابها من قبل جنود المظلات يمر الفتى بفترة عصبية من الجدل مع نفسه وأخيرا يقبل الخطيبة وكذلك الطفل.

- هن: اقتباس وإخراج احمد هلام إنتاج المركز الوطني للسينما عام 1966 ويروي ملخص السيناريو واقع طالبات في المرحلة الثانوية يتناقشن مع أساتذتهن حول ما تصادفه الفتاة الجزائرية من صعوبات في طريق تحررها من القيود البالية.

-العقبة: إخراج محمد بوعماري إنتاج ديوان الأحداث الجزائرية 1966 والفيلم يتحدث عن مشاكل الأجيال الجديدة في مجتمع متمسك بالتقاليد ويلخص قصة حب شابين يريد كل منهما لأخر ولا يستطيعان

تحقيق أمانيهما بسبب معارضة الآباء بعادات وتقاليد محافظة.

-كشافو الينابيع: إخراج عبد الحليم ناصف وإنتاج المركز الوطني للسينما عام 1966.

- اللغة الكبيرة: إخراج احمد مجاوي وإنتاج الديوان الوطني للتجارة والصناعة السينمائية عام 1969.

يقول ملخص السيناريو: عمار يونس شاب يبيع الموز انتظارا لإيجاد عمل آخر يعقد العزم على الهجرة بدافع اليأس وبعد إجراءات السفر يصل إلى مرسيليا حيث يوفق إلى عمل يطرد منه بصورة تعسفية بعد شهر وفي صباح أحد الأيام وبينما هو جالس في مقهى يعرض عليه فرنسيان العمل في مدغشقر يتعلق بهذا الأمل وبعد أن يمتطي الباخرة ظنا منه انه متوجه إلى مدغشقر. يجد نفسه في الجزائر مع مئات من مواطنيه حيث كان الأمر حيلة لإبعاده عن فرنسا وإعادته إلى الجزائر. وقد أنتج التلفزيون الجزائري مجموعة كبيرة من الأفلام السينمائية منها:

- من الجاني- إخراج: يوسف بوشوشي.
- السحار- إخراج: مصطفى بديع.
- يؤخذ أو يترك- إخراج: جمال بند دوش.
- لا بياض في الصفحة الأولى: إخراج يوسف بوشوشي.
- ذهاب وعودة: إخراج احمد العالم.
- جيل الحرب: إخراج: توفيق فارس.
- حكاية حرية: إخراج: خالد معاش.
- المنصب- إخراج: محمد شويخ.
- يوميات عامل شاب- إخراج: محمد افتيسان.
- دم المنفى- إخراج: محمد افتيسان.
- غورين- إخراج: محمد افتيسان.
- الطارفة- إخراج: شريف م الهاشمي.
- نوه- إخراج: عبد العزيز طليبي.
- الغاصبون- إخراج: الأمين مرياح.
- بالقرب من الصفصاف: إخراج موسى حداد.
- الخالدون- إخراج: ب. بختي.
- المحرم المفترض- إخراج: محمد بدري.

بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الأفلام الوثائقية القصيرة التي صورت في مختلف القطاعات والمناسبات المواقع ومجموعة أخرى من الأفلام التي أطلق عليها اسم محاولات.¹¹

5-السينما الثورية الجزائرية بين رسالة التوثيق وخلق خيال الفرحة:

ينار جدل وتطلق اتهامات عند إنتاج أفلام تتناول وقائع تاريخية في الجزائر بل وحتى أفلام عادية، وكثيرا ما تكون التهمة عدم مطابقة الفيلم للواقع أو تشويبه للأحداث... والسبب أن غياب تقاليد وثقافة سينمائية في البلاد جعل الجزائريين يؤاخذون السينما على الجنوح إلى الخيال، الخيال الذي لا حياة للفن السابع بدونه. وقد رسخت في أذهان الكثيرين صورة نمطية عن أفلام الستينيات والسبعينيات التي تناولت الثورة و صناعتها، لدرجة أنها باتت مرجعيات، حتى بالنسبة للنقاد والعارفين بالشأن السينمائي، وهو ما عرقل عملية إنتاج أفلام جديدة، تخرج من خانة التوثيق وتقدم للجزائري صورة أخرى عن حرب التحرير، بأبعادها الإنسانية، كما تروج لنضالنا بشكل أكثر جذبا...، إن صناعة هذا النوع من الأفلام تعتبر الأصعب، بسبب الهجوم الشرس على كل عمل جديد يجنح صناعه عن المتعارف عليه ويمنحون مساحة أكبر للخيال. تعدد حرب الفيتنام في أفلام هوليوود التي حولت ذل أمريكا الى ملحمة، من أكثر المحطات السينمائية التي تؤكد على أهمية الخروج بالأعمال من خانة المعركة وإعطاء مساحة أكبر للجانب الإنساني للأحداث وتصوير الأشخاص كأناس طبيعيين يتمتعون بمواقف بطولية ومشاعر إنسانية تحمل الخوف والخطأ، الأمر الذي لا يمكن أن يتأتى في السينما الجزائرية التي تحاكي حرب التحرير، إلا إذا منح المخرج الحرية

التي قد يستند عليها أي عمل سينمائي لسرد واحدة من قصص أبطال حرب الجزائر. المخرج أوضح من ناحية ثانية، بأن صناعة سينما ثورية بالمقاييس المطلوبة، قد يكون ممكنا في الجزائر، لكن إذا ما اهتم المسؤولون والقائمون على قطاع الثقافة أكثر بالصورة ومنحوها حقها، لأنها في وضعها الحالي لا تزل بعيدة عن المستوى المنوط به، وذلك راجع، حسبه، لأن الصورة كانت ولا تزال في آخر الاهتمامات، بالرغم من أهميتها الكبيرة كسلاح إعلامي مؤثر. واعتبر بأن المخرجين الجزائريين أكفاء بالقدر المطلوب، والدليل هو الإنتاج السينمائي الثوري الهام الذي قدمه طيلة سنوات عملوا خلالها بإمكانيات جد محدودة، ومع ذلك استمر العطاء السينمائي المحلي، لأن صناعه يدركون جيدا بأن جزءا هاما من الثورة، لا يزال بحاجة إلى تصوير، فالثورة ليست فقط قتالا وسياسة، بل هي أيضا قصص إنسانية متشعبة لها عناوين أخرى.¹³

أكد السيناريست عزيز عجايبي، بأن الفيلم السينمائي الدرامي لا يمكن أن ينجح و يحقق الهدف منه، إذا كان مجردا من الخيال الذي يغذي الحكمة، حتى وإن تعلق الأمر بسرد سير ذاتية لأشخاص أو أبطال، إن صح الوصف، لأن المؤثرات العاطفية هي التي تجذب المشاهد وترطبه أكثر بالشخصية، التي قال، بأنها لا بد وأن تقدم للمشاهد بكل أبعادها الإنسانية بأخطائها ومخاوفها وحتى لحظات ضعفها وخيانتها، إن وجدت. وأوضح المتحدث بأن صناعة هذا النوع من الأفلام، يعد الأصعب، خصوصا تلك التي تؤرخ لأحداث أو تتحدث عن أشخاص، بسبب سوء الفهم وعدم القدرة على التفريق بين الدراما والتوثيق الدقيق، وهو ما يفسر الجدل الذي تثيره هذه الأفلام في كل مرة، والذي يصل حد تدخل عائلات الشخصيات الرئيسية للعمل، وحتى بعض من عايشوا تلك المرحلة، فمنهم من يميل إلى انتقاد تقنيات التصوير....، حسب السيناريست، فإن الاستمرار في تناول حرب التحرير والثورة المجيدة بالنمط الحالي، لا يخدمها تماما، كما لا يخدم السينما والمشاهد على

الكاملة في الإبداع والتغذي من الخيال، كما أكده مخرجون وكتاب سيناريو ومهتمون بعالم السينما، منوهين بأهمية التفريق بين العمل السينمائي الدرامي والعمل الوثائقي، لتجنب الهجوم غير المؤسس الذي تتعرض له الأفلام السينمائية في كل مرة، بحجة تشويه صورة الأبطال، كما حدث مع «أسد الجزائر» و«الوهراني» وأعمال أخرى.¹²

انتقد المخرج الجزائري بلقاسم حجاج، الهجوم الذي يتعرض له مخرجو الأفلام السينمائية الثورية، وبالأخص تلك التي تروي قصص نضال قادة الثورة كالعربي بن مهدي وزيانا والعقيد لظفي وكريم بلقاسم، وحتى فاطمة نسومر، بسبب ما يعتبره البعض أخطاء تاريخية في الأعمال، مؤكدا بأن تعامل السينما مع القصة والسيناريو، لا يمكن أن يتسم بالموضوعية، لأن الفيلم السينمائي ليس عملا وثائقيا لا يحمل الخطأ...، وحسبه يعتقد أنه يتعين على النقاد والمتابعين للشأن السينمائي في الجزائر، فهم الفرق بين السينما التصويرية وبين العمل الوثائقي المبني على أسس علمية تهدف للتوثيق وتسجيل الأحداث بأدق التفاصيل، لأن السينما تحاول تقديم صورة عامة عن الأحداث، لأنها عمل فني تطغى عليه الذاتية، فحتى المخرج يعجز أحيانا عن التحكم في الصورة والحوار، ومثل هذه الأفلام لا تهدف لسرد قصة حياة الشخصية الثورية وكل من حولها دون مغالطات، بقدر ما ترمي لتصوير الإنسان ومحيطه وتفاصيل تلك المرحلة من حياته وحياته باقي الأفراد، لأن الفيلم السينمائي لا يخلو من الخيال والرومانسية، فهو خلاصة لمجموعة من التجارب الإنسانية. وأضاف المخرج، بأن مسؤولية حدوث أي أخطاء تاريخية أو مغالطات قد يتضمنها أي فيلم سينمائي ثوري جزائري، لا تقع على عاتق المخرج بقدر ما يتحملها المؤرخون، لأن توثيق الأحداث التاريخية وكتابة وقائع الثورة التحريرية، بما في ذلك الأحداث المتعلقة ب حياة ومقتل قادتها، هي مهمة المؤرخين والأكاديميين، لأنهم وحدهم مطالبون بتوفير المادة التاريخية

مهمة خلق الخيال وتغيير استراتيجية كتابة السيناريو من التوثيق إلى الدراما الخيالية التي تخلق مواضيع من زوايا متعددة وفي لقطات أكثر سرعة وإستيعاب ولكن يجب أن يخدم دائما تاريخ الجزائر الثوري العظيم للجزائر ويصنع من الثوار الجزائريين أجداد وأبطال جمعوا بين الإنسانية والعاطفة في مواقف الشهامة حتى مع العدو والشراسة والشجاعة في مواقع الوغى والقتال، ولعل السينما الأمريكية في مراحل تاريخها كانت دائما تتلون ومراحل التدخل العسكري في عدة بلدان من فيتنام إلى أفغانستان ثم العراق والسودان وإيران وكوريا الشمالية وغيرها والتي تصنع من الجندي الأمريكي صاحب قضية والذي لا يقهر وإن كان إستخدامها للخيال لا يوثق حقيقته الواقعية فتجعل من الجلاد الضحية ومن الضحية جلادا بعيدا عن المصادقية في الطرح إلا ما ندر مع بعض أعمال مايكل مور.

الهوامش:

- 1- قدور عبد الله ثاني،،: سيميائية الصورة مغامرة سينمائية في أشهر الإرساليات البصرية العالم د.ط، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران 2005، ص194 .
- 2- محمود إبراقن، هذه هي السينما الحقة، ط1 ، بن غازي، 1995، ص63
- 3- فايزة مخلوق، خصوصية الإشهار التلفزيوني في ظل الانفتاح الاقتصادي، ص96.
- 4- سينما ولدت في قلب الإعصار-جريدة البعث السورية العدد 68- تاريخ 09 / 3 / 1979 ص50.
- 5- كتاب: الإنتاج السينمائي الجزائري- وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر ص10.
- 6- سمير فريد-دليل السينما العربية 1978- ص 12 - 13
- 7- سمير فريد- دليل السينما العربية 1978- ص 14 و 15.

حد سواء، لذلك وجب علينا التخلص من قيود التوثيق النموذجي والتركيز أكثر على الجانب الإنساني والاجتماعي للأحداث، من خلال الغوص في الخيال إلى الجزائر العميقة، وإحياء القصص الإنسانية للأبطال المجهولين، كنساء الثورة مثلا، وبالتالي صناعة أفلام ملحمة كتلك التي صنعتها هوليوود حول حرب الفيتنام، واستطاعت من خلالها أن تحول الهزيمة إلى مجد وأن تخلق أبطالاً من العدم، فقدمت المعتدي كبطل للعالم، ففي النهاية حرب التحرير، لم تكن مجرد معارك وقتل ورضاص وتعذيب فقط، بل عرفت أيضا قصصا إنسانية وتغييرات اجتماعية، من شأنها أن تقدم لنا أعمالا كبيرة تصور الثورة والنضال، بصورة أعمق وأوسع¹⁴.

الخاتمة:

لقد عرف مسار السينما الجزائرية مسار طويلا ومخاضا عسيرا لكي تثبت للعالم مكانتها كحاملة لفكرة وقضية بلورتها الحياة الثقافية و السياسية و الاجتماعية عبر مراحل مهمة في تاريخ الجزائر و المجتمع بكل أطيافه و تحاول تصديدها كرسالة إنسانية. ولعل الثورة الجزائرية كانت دافعا أساسيا وقوة فجرت كل عزائم وشجاعة الرواد الأوائل في نشر قضية التحرر من المستعمر رغم نقص الامكانيات، رغم هذا تم إنتاج أفلام وثائقية ثورية ساهمت في عرض الواقع المعاش للجزائريين أمام المستعمر ولكن كان ذلك على حساب المتعة والخيال السينمائي ، لكن مع مجيء جيل شاب جديد ومولع بالسينما المعاصرة التي تعتمد على الخيال وتبتعد عن الواقعية لغرض خلق المتعة في سيميائية الصورة التي أصبحت تغلب على سيميائية الحوار وهذا بغرض الابحار والفرجة ونقل الرسالة بطريقة تأثير اللاوعي باستخدام الخيال وتأثيره على الوعي والعقل عكس ما كان معمولا به في القديم، هذا ما يحاول هذا الجيل الجديد إيصاله مع التطور التكنولوجي للمؤثرات الخاصة التي سهلت

- 8- ندوة عن فيلم المفيد- مجلة الحياة السينمائية السورية- العدد الخامس شتاء 1980م.
- 9- مجلة الحياة السينمائية السورية- العدد الرابع- تشرين الأول 1979م.
- 10- إبراهيم العريس- كتابات في السينما- المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص -210 - 212.
- 11- الإنتاج السينمائي الجزائري ص 63 ودراسات في الايمانتيه- لوبوان-لوموند) ب هيريمان و(أكسبريس كلود مودياك)
- 12- نوري طالبي، جريدة النصر، نشر بتاريخ: الإثنين، 07 تشرين/2 نوفمبر، 2016، التوقيت: 22:11.
- 13- بلقاسم حجاج، مخرج سينمائي، جريدة النصر، مرجع سابق.
- 14- عزيز عجايبي، سيناريسست، جريدة النصر، مرجع سابق.